مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: 08 عدد: 02 السنة 2022 E-ISSN:2588-2325

قيم الحرف اليدوية في المجتمع الجزائري: قيم النحاسين بقسنطينة نموذجا

Values Associated with Crafts in the Algerian Society: the values of copper craftsmen in Constantine as a model

أسماء مجدوب*، مخبر مجتمع، تربية عمل، جامعة مولود معمري تيزي وزو، asma.medjedoub@ummto.dz

سليمان دحماني، جامعة مولود معمري تيزي وزو، slimane.dahmani@ummto.dz

تاريخ الإرسال: 2022/07/03 تاريخ القبول: 2022/12/09 تاريخ النشر: 2022/12/30

ملخص:

على مدى العقود الخمسة الماضية كان للعولمة الأثر الكبير في التغيرات التي شهدها المجتمع الجزائري عامة، ومدينة قسنطينة خاصة، والتي مست الجانب الاجتماعي، والثقافي، والاقتصادي للمنطقة إيجابا وسلبا. وهذا ما أدى إلى تشكل ممارسات غريبة عن المجتمع المحلي، فكان لزاما على الباحثين الاهتمام بالتراث الثقافي للمنطقة. وبناء عليه، جاءت هذه الدراسة بشقيها النظري والميداني، لإبراز القيم الضمنية لحرفة النحاس بمدينة قسنطينة، التي اعتمدنا فيها على معايشة مجتمع النحاسين من أجل فهم رموز، ومعاني، وممارسات هذه الحرفة لدى الحرفيين، والمستهلكين، والتجار.

ولقد كشفت الدراسة في الأخير أن صنع الأواني النحاسية ليس مجرد عملية صنع أشياء ملموسة، بل صياغة للقيم المتأصلة التي تكشف أسلوب تعلم وعيش أفراد المجتمع. وفهم هذه القيم يختلف بين الأفراد كل حسب مكانته ودوره الاجتماعي. كما بينت الدراسة أن فهم هذا المضمون يساهم في تنمية مستدامة لقطاع الحرف والصناعات التقليدية.

الكلمات المفتاحية: قيم، حرفة، نحاس، أنثروبولوجيا، ثقافة.

* المؤلف المرسل

Abstract:

Over the last five decades, globalization has had a great impact on the changes that the Algerian society, in general, and the city of Constantine, in particular, have witnessed. These changes touched the social, cultural and economic aspects of the region in positive and negative ways. This resulted in the formation of new practices that are strange for the local community. Therefore, we have to re-examine the essence of the cultural heritage of the region.

The theoretical and practical parts of the present study underline the implicit values of the craft of copper in the city of Constantine. We relied on observing the community of copper craftsmen to understand the codes, meanings and practices of this craft at the level of the craftsmen per se, the clients and the traders.

At the end, the study revealed that the manufacturing of copper plates is not a mere production of concrete objects; rather, by looking profoundly, it is the production of deeply ingrained values that reflect the society's style of learning and living. The understanding of these values differs from one individual to another depending on their social positions and roles. Furthermore, this study showed that such an understanding contributes to the lasting development of the sector of crafts and traditional industry.

Keywords: values, craft, copper, anthropology, culture

مقدمة:

إن حاجة الأفراد في المجتمعات التقليدية إلى الحرف والصنائع لا تختلف عن حاجتها إلى الجماعة، لما لها من أهمية في إشباع الحاجيات المادية للفرد والمجتمع في التنمية الاقتصادية؛ وبحكم هذه الحاجة اهتمت مختلف المجالات بدراسة الحرف والصنائع.

وتعد حرفة النحاس كجزء من ثقافة مادية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بنمط حياة الإنسان والمجتمعات المحلية. ومن الواضح أن هذه المهارة التقليدية تقدم قيماً جوهرية حيث تنتقل هذه المعرفة التقليدية من جيل إلى جيل، وما تحتاج له هو تقدير حقيقي للحرفة من قبل الخلف. لذلك، من أجل الحفاظ على التراث الثقافي للحرف اليدوية النحاسية وضمان استدامتها، أصبح من الضروري تثقيف المجتمع المعاصر، وخاصة جيل الشباب، لزيادة الوعي بفهم قدرتها في المحافظة على التطور الاقتصادي، الاجتماعي الثقافي.

ومن هذا المنطلق يمكننا طرح السؤال التالي: كيف يمكن إعادة إحياء الحرف التقليدية النحاسية، كممارسة ثقافية ذات أبعاد قيمية؟

ومن أجل الإجابة على هذا الاشكال تم الاعتماد على نتائج مجموعة من الأدبيات والاستفادة من نتائج البحث الميداني. كما تم الاعتماد في الوصف والتحليل على المداخل النظرية الأنثروبولوجية التالية: الرمزية، الوظيفية، التاريخية، وقد تم تكييفها لإثارة مناقشات مهمة في الجانبين النظري والميداني؛ الذي يركز في المقام الأول على ما يقوله المخبر وما يعنيه؛ في وضعه الطبيعي، ولكشف ذلك تم الاعتماد بدرجة كبرى على مجموعة من أدوات البحث العلمي أولها الملاحظة بالمعايشة داخل ورشة العمل، هدفت هذه الأداة بالدرجة الأولى إلى تقليص الفجوة بين الباحث والمبحوث وخلق جو من الأريحية للطرفين، من جهة، من جهة أخرى كان لهذه العملية تأثير على الشعور الحسي للباحث ومعرفة التفاصيل الضمنية للحرفة عن طريق اللمس والمعايشة الحية لتفاصيل الحرفة بالتالي قدرة أكبر على وصف المعلومة. كذلك تم الاستعانة بأداة ثانية مكملة وهي المقابلة الموجهة وغير الموجهة مع مخبرين تنوعوا بين مستهلكين، تجار وحرفيين، وهذا لإعطاء صفة الموضوعية للنتائج المقدمة والفهم العميق من وجهة نظر المبحوثين. وهذا الجدول أسفله يبين صفات المبحوثين الذين تمت مقابلتهم:

رقم المبحوث	الاسم	السن	المهنة	تاريخ المقابلة	مكان المقابلة
01	إدريس	64 سنة	حرفي في النحاس	من 6 إلى 17 أفريل 2021	ورشة العمل شارع السويقة
02	إبراهيم	59 سنة	حرفي في النحاس	من 11 إلى 28 فيفري 2021	ورشة العمل شارع باردو
03	عمار م	70 سنة	النقش على النحاس (متقاعد)	من 11إلى 16 جانفي 2021	ورشة عمل أحد أصدقائه بشارع باردو
04	منصف، م	62 سنة	النقش على النحاس	من 19إلى 25 جانفي 2021	ورشة العمل شارع باردو
05	رياض	44 سنة	حرفي في النحاس	9،10 مارس 2021	ورشة العمل شارع باردو
06	عمر خ	65 سنة	حرفي في النحاس	2 فيفري 2021	ورشة العمل شارع سيدي جليس

جدول رقم 01: يبين عدد المبحوثين ومواصفاتهم

ويهدف هذا الطرح في الأساس إلى:

- فهم نمط العلاقات الاجتماعية داخل مجتمع حرفيي النحاس بمدينة قسنطينة.
- فهم واقع الحرفة وأي منحى تسير باتجاهه سواء بالضمور أو التطور.
- الكشف عن أهم العوامل التي تساعد الحرفي على الابداع وزيادة الانتاج.
- تبيان أهمية ومنفعة حرفة النحاس على مختلف الأصعدة التاريخية، الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية التنموية.

وقد تم تقسيم البحث إلى ستة عناوين رئيسية:

تعاريف ومفاهيم الحرفة والحرفي

حرفة النحاس بقسنطينة

القيم الهامة وامكانيات الحرف اليدوية

القيم المرتبطة بحرفة النحاس اليدوية

نقص المعرفة والفهم فيما يتعلق بقيم حرفة النحاس

1. تعاريف ومفاهيم الحرفة والحرفي

لقد أطلق ابن خلدون مفهوم الصنائع على الحرف في المجتمعات التقليدية التي تصبح ملكة لدى الصانع ينشغل بها طيلة حياته حيث يصعب على الكثيرين تبنى ملكة أخرى، وهذا ما أكده في قوله: العمران البدوي لا يحتاج من الصنائع إلا البسيط خاصة المستعمل في الضروريات من نجار، حداد، خياط، حائك أو جزار... وأن من حصلت له ملكة في صناعة ما فإنه قلما يجيد بعدها ملكة أخرى. ومثال ذلك الخياط إذا أجاد ملكة الخياطة وأحكمها، ورسخت في نفسه فلا يجيد بعدها ملكة النجارة أو الناء لا أن تكون الأولى لم تستحكم بعد ولم ترسخ صبغتها. ولسبب في ذلك أن الملكات صفات للنفس وألوان فلا تزدحم دفعة واحدة. (ابن خلدون، 2001، صفحة 507)

ولقد جاء في المادة 05من الأمر رقم96-01المؤرخ في 10جانفي1996، أن الصناعات التقليدية والحرفية هي كل نشاط إنتاج، إبداع، تحويل، ترميم فني، صيانة، تصليح أو أداء خدمة يطغى عليه العمل اليدوي، ويمارس بصفة رئيسية ودائمة، في شكل مستقر، متنقل أو معرضي...إما فردية أو ضمن تعاونية للصناعة التقليدية والحرف. (الأمانة العامة للحكومة الجزائرية، 1996)

أما الحرفي فتعرفه ذات المادة القانونية كما يلي: "هو كل شخص طبيعي مسجل في سجل الصناعات التقليدية والحرف، يمارس نشاطا تقليديا، يثبت تأهيلا ويتولى بنفسه مباشرة تنفيذ العمل وإدارة نشاطه وتسيير وتحمل مسؤوليته"، كما أن الحرفي المعلم في تقنية حرفته، هو كل حرفي مسجل في

سجل الصناعة التقليدية والحرف، يتمتع بمهارة خاصة، وتأهيل عال في حرفته وثقافة مهنية. (الأمانة العامة للحكومة الجزائرية، 1996)

ولقد عرفت ندوة اليونسكو / مركز التجارة الدولية الموسومة بـ: "الحرف والسوق الدولي :تدوين التجارة والجمارك "، مانيلا، 6-8 أكتوبر / أكتوبر 1997 " المنتجات الحرفية كما يلي: هي تلك المنتجات التي ينتجها الحرفيون، إما يدويًا بالكامل أو بمساعدة الأدوات اليدوية أو حتى الوسائل الميكانيكية، طالما كانت المساهمة اليدوية المباشرة للحرفي تبقى المكون الأكثر جوهرية في المنتج النهائي. يتم إنتاج هذه دون قيود من حيث الكمية واستخدام المواد الخام من مصادر مستدامة.

وتنبع الطبيعة الخاصة للمنتجات الحرفية من سماتها المميزة، التي يمكن أن تكون نفعية، جمالية، فنية، إبداعية، زخرفية، وظيفية، رمزية وذات مغزى، مرتبطة ثقافيًا بالتقاليد والدين والمجتمع (UNESCO institute Statistics, 2009) (UNESCO Institute for Statistics, 2016)

وتجدر الإشارة إلى أن تعريفات الحرفي تختلف بمرور الوقت، والسياق الجغرافي والفلسفي (Pöllänen, 2013, p. 219) (Fillis, 2012, p. 24) ويمكن استخدام كلمة "حرفة' للإشارة إلى منتج مصنع وملموس وهي كمصطلح تنتسب في مفهومها للأصالة والجودة؛ بالإضافة إلى أنها تتجاوز في مفهومها الوظيفة كون أنها تعتمد بنسبة كبيرة على الجانب الجمالي الفني في إخراج المنتج في علاقة وطيدة بين العمل والشخصية والرمز. (Walker S. , The Object of Nightingales: Design Values for a Meaningful Material Culture, 2012)

هذا، وتعتبر الحرفة نشاط قائم على صنع عملية إنسانية حميمة جدًا، لأنها تستعمل الجانب الحسي العاطفي والتعبيرات الجسدية لصناعة المنتج؛ ويتحكم في ذلك اختلاف قدرة الصانع في التلاعب وطريقة تعبيره وخبرته في المجال، ومن جانب نوع المنتج والممارسات المرتبطة به.(Pöllänen, 2013)

وبالمثل فسر Elliotالحرف على أنها عملية التعبير عن الذات والتحول التي لها كل من القوة والمعرفة السرية (Elliot, 2016, pp. 19-20) ولما كان من الصعب تعريف مصطلح «الحرف» على وجه التحديد بسبب اتساعه، فإنه يمكن القول إنه غالبا ما تتحكم فيه مجموعة من التغييرات التي تطرأ على المهارات، الممارسات، أنواع المنتجات. (Cultural Industries Growth Strategy (CIGS), 1998, p. 8)

يمكن القول اذن أن الحرف اليدوية هي مصدر للذاكرة الجماعية والفردية ووسيلة نحو اقامة تنمية وتطوير مستدامين تظهر قيمتها من حيث ثلاثة مواضيع: «معنى وقيمة الحرف»؛ «المشاعر التي تعرضت لها أثناء النشاط الحرفي»؛ و «قداسة وهدف الصناعة».

2. حرفة النحاس بقسنطينة:

تعود جذور حرفة النحاس بالجزائر إلى القرن 13م أين أنشأ الزيانيون مصانع لسباكة المعادن، ومع دخول الدولة العثمانية للبلاد تبلورت هذه الحرفة في الدولة الجزائرية وخاصة في المدن الكبرى العاصمة، قسنطينة، تلمسان، البليدة، وغرداية. في هذه الفترة احتلت قسنطينة المركز الثاني في الصناعات النحاسية بعد العاصمة (الجزائر) واستمرت كذلك في العهد الفرنسي. (مجمج و بوالصلب، 2020) وينتشر النحاس في الوقت الحاضر في عدة أحياء بقسنطينة، على رأسها شارع رحماني عاشور، المعروف بشارع باردو، حي الدقسي، عوينة الفول وبكيرة.

والملاحظ في مجتمع النحاسين بقسنطينة أن كل حرفي يختص في جانب أو فئة معينة تقسم حسب مراحل التصنيع فهناك: استيراد المادة الأولية، التصنيع والصقل، النقش، التلميع، التبييض أو التشبيب، والبيع فقط. وهناك ورشات تقوم بالتصنيع والتبييض معا.

ويتم تداول هذه الحرفة بين الأجيال عبر توارثها في العائلة الواحدة من الأخ الأكبر للأخ الأصغر، أو من الأب للابن (هذه الحالة نادرة جدا) أو عن طريق مراكز التكوين المهني وعمل تربص ميداني عند معلمين. ويجتمع هؤلاء الحرفيون الذين يقارب عددهم 300 حرفي في جمعية فن النحاس القسنطيني يرأسها بودينار. تهدف هذه الجمعية إلى تطوير الحرفة والمشاركة في التظاهرات الوطنية والدولية، كما تعمل على الاستماع لمشاكل الحرفيين وايصال آرائهم للسلطات لإيجاد حلول. (مجمج و بوالصلب، 2020)

وتستعمل مادة النحاس باختلاف لونيه الأصفر والأحمر في تصنيع الأواني النحاسية للعائلات القسنطينية خاصة ما يرتبط بصينية القهوة، وتقطير الورد، وطبخ الحلويات والأطباق التقليدية، ولا تستغني العروس في هذه المدينة عن مجموعة الأواني النحاسية التي تأخذها في جهازها. كما ويدخل النحاس في تشكيل أدوات الزينة للمنازل. ويستعمل أيضا في الطب الشعبي.

3. القيم الهامة وإمكانيات الحرف اليدوية

كما هو معروف فإن القيم هي أحد العناصر الأساسية في الحفاظ على التراث، فهي تعمل كمبدأ توجيهي وحافز يساهم في التأثير على مواقفنا وتصرفاتنا في نفس الوقت تحفظ كيان الفرد والمجتمعات بحيث يكون التغيير الحاصل نحو أسلوب حياة أفضل. (Sood & Tulchin, 2022) (Blackmore, Underhill, McQuilkin, & Leach, 2013)

1.3. المعرفة الضمنية بالحرف اليدوية:

إذا سلمنا أن المعرفة الضمنية هي المعرفة التي يختزنها أصحابها في عقولهم ولم يعبروا عنها بأي صيغة كانت لتظل حبيسة عقولهم وغير متاحة للآخرين وحسب مجموعة علماء فهي "ذاتية وظرفية

وتنفيذها يتطلب التداخل والتنسيق وهو ما يجعل دراستها أو نقلها وتخزينها صعبا وفي بعض الأحيان مستحيلا " (Abdalqadir Hameed، 2021) وفقًا لWalker ، من الممكن الإدراك والشعور والتعرف على الطرق الضمنية للمعرفة داخليًا. ومع ذلك، من الصعب نسخ ملفات المفهوم إلى كلمات .Walker S (, The Spirit of Design - object, environment and meaning, 2011, p. 164

وبناء عليه، يمكن القول أن المعرفة "الضمنية" بالحرف اليدوية التقليدية تشير إلى مجموع المعلومات المتوارثة عبر أجيال والحكمة والتقاليد والممارسات لبعض الشعوب الأصلية والمجتمعات المحلية (Walker, 2013 ،(106 p وتظهر هذه الأخيرة من خلال التقاليد الشفوية القصص، الأساطير، الفولكلور، الطقوس، الأغاني، الفنون وحتى القوانين (Walker S. , Design and Spirituality: Material Culture for a Wisdom Economy, 2013) ولا شك أنه من الصعب اختيار نقش معين يحافظ على التقليد في نفس الوقت يكون متجددا، ولكي تكون معصوما عن الخطأ يتطلب ذلك المعرفة، الخبرة، الحدس والذوق، حيث قلما تجتمع هذه الصفات لدى الصانع. إذن المعرفة الضمنية والمعرفة التقليدية لا تقدر بثمن وتستحق الاستمرار والترويج كواحدة من هوياتنا الوطنية.

2.3.القيمة الرمزية والفنية للحرف اليدوية:

إذا اعتبرنا أن الرمز عنصر تشكيلي هام في مجال التعبير الفني، ويفهم على أنه القدرة على إطلاق أشكال ترتبط بالوجدان وتوظيف الخيال؛ سنفهم إذن أن معنى وقيمة الحرف اليدوية تكمن في الجانب الرمزي والفني لها (Rees, 1997, p. 128)؛ بعبارة أشمل هو قدرة الحرف التقليدية على الايحاء بصفة، فكرة غير محسوسة، تعبر عن تاريخ المجتمع، الهوية الثقافية هذه الايحاءات لا تفهم إلا عن طريق المشاعر والوجدان. (Walker S. , The Spirit of Design - object, environment and meaning, 2011, p. 9) (إمام طه متولي، 2000، صفحة 98)

وفي الوقت نفسه، وكما يقول Boham أنه يجب فهم الحرف اليدوية من حيث العلاقة بين "التصميم"، "الرمزية" و "المستهلك". وكلما كان المستهلك مدركا لهذه العلاقة والمكانة كان المنتج ذا قيمة أكبر وأعز.(Rees, 1997)

3.3.القيمة الاقتصادية للحرف كجزء من الصناعات الإبداعية:

وفقا لمصادر مختلفة، ينبغي أن يكون تطوير صناعة الحرف اليدوية أولوية لتعزيز الدخل القومي لكل دولة متطورة والبلدان النامية حول العالم. فخلال السنوات الأولى من القرن الحادي

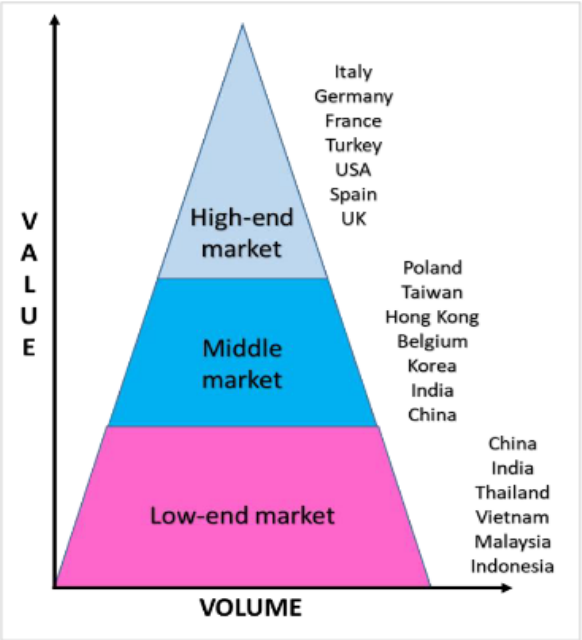

الشكل 1: تدرج أسواق الحرف حسب البلدان

value (Frost & Sullivan, 2005)

والعشرين، تصدرت كل من: الصين، إيطاليا، ألمانيا، فرنسا، تركيا، الولايات المتحدة الأمريكية، الهند، هونغ كونغ، إسبانيا والمكسيك قائمة أكبر مصدري الحرف اليدوية ومنتجات الديكور (Frost & Sullivan, 2005, p. 18).

وتعد الصين الدولة الرائدة التي لها القدرة على توفير منتجات منخفضة التكلفة وواسعة النطاق بكميات كبيرة. إن تطوير المنتجات الثقافية على أساس محلي يمكن أن يساهم في ديناميكية تنمية الاقتصاد المحلي وأن توفر فرص عمل مناسبة، حتى مع انخفاض رأس المال (UNESCO Institute for Statistics, 2016, p. 12)

في ضوء ما سبق، نستطيع القول أن الحرف اليدوية ترتبط أيضًا بمجالات أخرى مثل السياحة والتنمية المستدامة، وكذلك الصناعات الإبداعية الأخرى، والتي يمكن أن تعتمد على أنها مفتاح استراتيجيات التنمية في البلاد.

ولقد قام Frost & Sullivan بإعداد تقرير عن سوق الحرف اليدوية وتصنيف نوعية التصدير إلى ثلاثة أجزاء: السوق الراقية والمتوسطة والمنخفضة . ويعتمد هذا التقرير على القيمة السوقية للمنتجات، والتي تشمل الحرف اليدوية ومواد الديكور. (Frost & Sullivan, 2005)

وتميل دول مثل إيطاليا، ألمانيا، فرنسا، تركيا، إسبانيا، أمريكا والمملكة المتحدة تميل إلى الهيمنة على قطاع السوق الراقية، حيث تقوم بتصدير الحرف اليدوية عالية القيمة. أما دول أوروبا الشرقية مثل بولندا، بلجيكا، جمهورية التشيك، المجر، رومانيا، والدول الآسيوية مثل هونغ كونغ وتايوان وكوريا ينتمون إلى السوق المتوسطة بتصدير منتجات حرفية متوسطة القيمة. أما الصين والهند فتعد من بين أكبر الدول المنافسة داخل القارة الآسيوية التي تهيمن على الحرف منخفضة ومتوسطة القيمة؛ ومع ذلك فإن هذين البلدين لهما هوية مميزة خاصة بهما من حيث مصطلحات الإنتاج الحرفي. يتم إنتاج حوالي 90٪ من المنتجات الحرفية المصنوعة من الصين بالكامل أو جزئيًا بواسطة الآلة، في حين أن المنتجات الهندية يتم تصنيعها يدويًا في الغالب. ومن بين الدول الآسيوية تايلاند وماليزيا وفيتنام وإندونيسيا والفلبين كبار مصدري الحرف اليدوية الذين يقومون بتصدير المنتجات الحرفية منخفضة إلى متوسطة القيمة، وهي عادة مصنوعة يدويا. (Frost & Sullivan, 2005, p. 19)

4.3.قيمة الحفاظ على الهوية المحلية:

تعمل الحرف اليدوية لكل بلد كممثل لثقافة وتقاليد للمجتمع المحلي؛ وفقًا ل .Ferraro and al أبلغت العديد من المنظمات عن الأهمية المحتملة للحفاظ على الحرف اليدوية في عصر العولمة، وتتجلى هذه الأهمية في صلة ارتباط بين الصانع والمنتج، (Ferraro, 2011) هذا الارتباط هو تاريخ المكان، والشعور بالمجتمع (Hosagrahar, Soule, Girard, & Potts, 2016, p. 17). لتنتج بذلك منتجات يدوية تحمل الحس التعبيري للهوية المحلية.

وعلاوة على ذلك، يربط Walker الاستدامة في سياق التجارة والنطاق الاقتصادي ,. S.Walker) (Walker S. , The Spirit of Design - object, environment and meaning, 2011) 2014)، القيمة التاريخية للمكان، والشعور بالمجتمع والشعور بالانتماء الثقافي ببعضها. ويقول إنه يمكن دمج جميع هذه العناصر بشكل وثيق لخلق فهم أفضل للهوية المحلية داخل المجتمعات من أجل تحقيق أكثر وضوحا واستدامة أسلوب الحياة (Walker S. , 2014, p. 92)

ومن منظور أوسع عادة ما ينظر الى الحرف اليدوية على انها مجالات المساعي البشرية التي تساهم بشكل كبير في التنمية الاجتماعية والنمو الاقتصادي لجميع البلدان بما في ذلك الجزائر التي تحتل الحرف اليدوية فيها مكانة خاصة في الثقافة والعادات والتقاليد الجزائرية. ومع ذلك في هذا العصر الحديث

وبسبب تأثير العولمة، تواجه الصناعة والممارسات المرتبطة بها القضايا الحاسمة مما ادى الى تراجعها بشكل كبير، ما يعكس عدم تقدير وتفهم المجتمع المعاصر لها، وعليه تسجيل تراجع في توارث المعرفة عبر الأجيال، اختفاء المهارات المرتبطة بها، وغيرها من القضايا المترابطة.

من ناحية أخرى، يتزايد الاهتمام بالأشياء الفريدة الأصلية المصنوعة يدويًا، مما يخلق فرصًا جديدة للشركات ويحمل إمكانات كبيرة، خاصة في المناطق السياحية. من الواضح أن الصناعة الحرفية وممارسيها على وجه السرعة بحاجة إلى تغييرات من خلال تحسين كل من جودة المنتجات، القدرة الإنتاجية، الجانب التسويقي، الابتكار لضمان استدامة حرفتهم والتحرك نحو مستقبل أفضل. (UNESCO Institute for Statistics, 2016)

4. القيم المرتبطة بحرفة النحاس اليدوية

1.4.قيمة المعاني الشخصية:

تكاد معظم الحوافز لتي تدفع الحرفيين إلى ممارسة الحرفة التقليدية للأدوات النحاسية تنقرض؛ ولم يتبقّ سوى حبهم وغرامهم لهذه الحرفة بدرجة كبيرة ليأتي بعده تلبية احتياجاتهم المادية (إبراهيم، عمر،)؛ كذلك للحفاظ على الارث الذي تركه الأجداد (منصف). أغلب الأشخاص الذين تمت مقابلتهم في شارع النحاسين بقسنطينة (إبراهيم، عمر، عمار، رياض) يشعرون أنه من واجبهم ومسؤوليتهم الاستمرار في مزاولة تلك الحرف التراثية، بغض النظر عن كل القضايا والقيود التي تواجهها، فكل حواسهم العقلية والابداعية متجهة صوب هذه الحرفة. ويمكن التعرف على شارع النحاسين في قسنطينة من خلال أصوات الدق والتلميع، والرائحة العطرية للنحاس المحروق وذوبانه. عدد قليل من المخبرين (إبراهيم، إدريس)، شاركونا قصصهم عندما كانوا صغارًا واحتكاكهم الاجتماعي بالحرفة والمدينة. "لقد عشت في قسنطينة منذ أن كنت صغيراً وكان هناك عدد قليل من ورش الأشغال النحاسية داخل المدينة القديمة تتمركز أغلبها في سيدي جليس" (إدريس). وأضاف عمار "عندما كنت طفلاً، آتي مع أبي للمدينة، وتمكنت من رؤية الأنشطة الحرفية التي يتم إجراؤها فأحببت ذلك وعزمت على دخول المجال".

2.4. القيمة الروحانية:

تعكس الثقافة النحاسية القسنطينية أفكار ومعتقدات المجتمع المحلي؛ اين نجحت الحياة القائمة على القرآن والسنة في إظهار مكانة الدين أثناء إنتاج الحرف اليدوية، (عمر):" انه ليس لدي خطة لمعظم أعمالي الفنية حيث أتبع حدسي، وأنا أدرك في بعض الأحيان أن الأمور لا تسير بالمنحى المخطط له؛ لأن الأمر كله يعود إلى إرادة الله" .هذا هو السبب في أن الحرفي يمارس دائمًا مفهوم التوكل بعبارة أخرى الثقة الكاملة بالله. ويؤمن معظم حرفي النحاس بالرزق (القوت) الذي قدمه الله سبحانه وتعالى؛ لذلك

وفقًا لبعض الأشخاص الذين تمت مقابلتهم، من الضروري أن يكون لديك أفكار طيبة تجاه الآخرين "إن الموهبة والمهارة هي نعم من الله سبحانه وتعالى، ويجب مشاركتها مع الآخرين؛ كل ما أفعله من الله. هذا هو السبب في التسهيل والالهام الذي ألقاه عند بداية منتج معين"(عمار).

3.4. القيمة الاجتماعية داخل مجتمع النحاسين:

كان أسلوب حياة القسنطينيين في الماضي أكثر انسجامًا ;أخلاقا مقارنةً بهذه الأيام؛ حياة قوامها التواد والتراحم، الصغير يحترم الكبير، والكبير يعطف على الصغير. توقير المعلم، إطاعة الزوجة لزوجها، التعاون والتلاحم بين الجيران...إلخ (إدريس، إبراهيم). وفي سياق الترابط الاجتماعي داخل مجتمع النحاسين أكد (إدريس) أن هذا الترابط هو ما جذبهم للوقوع في حب العمل ومجتمع النحاسين. وأضاف أن وجود علاقة جيدة مع صاحب العمل في بيئة عمل عائلية تتخللها المودة، يجعل الحرفي يرتقي بمكانته الاجتماعية الامر الذي يدعو الى الشعور بالفخر والانتماء. هذه كانت الطريقة التي قدّر بها المخبرون عملهم كجزء من مجتمع النحاسين في مدينة قسنطينة في أوقات سابقة.

4.4. القيمة الوظيفية للمنتجات النحاسية:

إذا ما تطرقنا الى وظائف المنتجات الحرفية النحاسية التقليدية وسياق الممارسة الاجتماعية للمجتمع القسنطيني المعاصر، نجد أن معظم العناصر الحرفية النحاسية هي منتجات موسمية؛ حيث تستخدم وتشاهد هذه الأخيرة غالبا خلال المناسبات الاحتفالية القسنطينية مثل الخطوبة وحفلات الزفاف، الختان، والأعياد؛ لذلك وفقًا لـ منصف" لا ينبغي أن يكون السعر المرتفع مشكلة لأننا لا نستخدم تلك المنتجات كل يوم، ولا سيما المنتجات الخاصة بالعروس ". على عكس ادوات المطبخ التي تستخدم يوميا والتي تكون أكثر نفعية وأقل تكلفة للشراء. وفي ضوء عدد من المقابلات التي أجريت مع المبحوثين، نستطيع القول أن هناك العديد من مزايا استخدام المنتجات النحاسية؛ فعلى سبيل المثال، في سياق الطهي وفقًا لـ(إدريس، إبراهيم) " إثر استخدام الانية النحاسية يمكن حفظ الطعام لفترة أطول مع ابقاء مذاقه التقليدي الأصيل". وأضاف (إدريس) أنه في عملية صنع الحلويات القسنطينية التقليدية مثل البقلاوة، طمينة اللوز، الجوزية *يتم الطهي في صينية *نحاسية داخل الفرن، ما يعطي رائحة عطرية فواحة ومذاقا أصيلا أعمق.

* الجوزية: حلويات تقليدية قسنطينية، تقطع على شكل مكعبات، أهم مكوناتها العسل الحر، والجوز

* الصينية: هي إناء كبير ذو ارتفاع 3 سنتمتر يكون مربعا أو مستديرا، وظيفته حمل الصحون والأكواب والملاعق لتقديم الأكل.

وحسب إدريس: في شهر شعبان من كل عام ينشغل النحاسون بإنتاج وتجديد الأواني النحاسية تحضيرا لشهر رمضان المبارك حيث يصوم المسلمون لمدة شهر. ويطالب السكان المحليون دائمًا بالصامصة* التقليدية والجوزية الذي تم طهيها باستخدام أواني نحاسية. عادة ما تؤكل هذه الانواع أثناء الإفطار، وأحيانًا يتم تناولها بعد صلاة التراويح؛ لتكون المبيعات خلال شهر رمضان أعلى بكثير مما كانت عليه خلال الأشهر الأخرى.

في حين تأتي الصينية ذات الطول واحد متر {صينية بومترا} بلونها الأصفر والأبيض لتكون علامة اجتماع العائلة على مائدة واحدة سواء لشرب القهوة أو تناول وجبتي الغذاء والعشاء، تعلوها مجموعة أواني نحاسية تختلف باختلاف وظيفتها (السكرية*، المرش*).

5.4.القيمة التاريخية الجغر افية:

أما بخصوص القيم التاريخية الجغرافية التي تتعلق بالمكان الذي توجد فيه حرفة النحاس، كان إدريس أحد المخبرين القليلين الذي يملكون معلومات عن تاريخ الحرفة والمكان، أما باقي المخبرين فلم تتوفر لديهم أفكار واضحة عن الجانب التاريخية الجغرافية.

وتكمن قيم ومعنى صناعة الأواني النحاسية أيضًا في السياق التاريخي المرتبط بالمكان الذي تمارس فيه الحرفة وتصنعها. مما يعني، أن قيمتها تكمن وراء تاريخها وجغرافيتها، حيث أن كل منتج نحاسي يرتبط بقصص الماضي وما تحمله من قيم عاطفية يمكن أن تشجع وتحفز وتلهم الصانع، والمستهلك. (إدريس) لقد أثبت التاريخ كيف كان الاستعمار الفرنسي في الماضي يدعم قطاع الحرف النحاسية في قسنطينة، ويقدم العديد من البرامج للحرفيين المحليين. ووفقا لذات الاخباري كان دخول الصناعة النحاسة للجزائر بفضل الدول العثمانية لتنتشر بعدها في ربوع البلاد، وتأخذ مدينة قسنطينة الحصة الأكبر من ذلك، وتبقى محافظة على هذا الارث الثقافي.

* الصامصة: حلوى تقليدية قسنيطينة على شكل مثلثات محشوة عادة بالجوز واللوز وماء الزهر، تقلى في الزيت، ثم تحلى بالعسل الحر.

* السكرية: وعاء صغير دائري الشكل، يتكون من قطعتين القاعدة الاساسية ذات التجويف العميق الذي يوضع به السكر والغطاء، وكلا القطعتين مزخرفتين بنقوش مختلفة. تدخل السكرية ضمن آنيات صينية القهوة للضيوف.

* المرش: آنية نحاسية ذات قاعدة دائرية فوقها يوجد تجويف مقعر وينتهي بعنق طويل به فتحة لخروج ماء الزهر، ويزين بزخارف ونقوش مختلفة. وظيفة هذه الآنية هو رش فنجان القهوة بماء الزهر لإضفاء نكهة، وتستعمله العروس مع الحناء وكذلك ترش بها عند خروجها من بيت أبيها.

كما أوضح إدريس أهمية السياق التاريخي وعلاقته بـ القيمة الجغرافية بحكم أن قسنطينة عاصمة لبايلك الشرق في زمن العثمانيين جعلها قبلة لمختلف الصناعات الحرفية، وتشير الأدلة التاريخية إلى وجود أنشطة تجارية ضخمة في المدينة والمنطقة المحيطة بها.

وقد يكون نقل القيمة التاريخية وأهميتها احتمالًا كبيرًا لـ تحقيق التقدير الاجتماعي وزيادة المعرفة والوعي، هنا يضيف إدريس أن الاطلاع على التاريخ يوفر فهما أعمق وتحفيزا للشعور بالتقدير تجاه الخصائص الثقافية. اضافة الى أن ذلك يضفي قيمة من شأنها المساهمة في تغيير مفاهيم كل من الحرفة، المنتجين والمجتمع الأكبر. علاوة عليه فان فهم التاريخ يؤدي إلى تحفيز صانع الحرف ليكون أكثر إبداعًا في تشكيل شيء يمثل هوية الثقافة المحلية.

6.4 القيمة الاقتصادية:

أمام الاجتياح والتوسع الحضاري المعروف والذي طال كل شيء، فأن تقاليد وعادات الحرفة في تغير دائم لمواكبة البنية الاجتماعية والاقتصادية الجديدة، هذا ما جعل حرفة النحاس تفقد الكثير من ثقلها الاقتصادي داخل مجتمع قسنطينة. وحسب (إدريس)في العقدين الأخرين وبسبب التنمية التجارية في مدينة قسنطينة تم التوسع وفتح ورش للحرفة في أماكن مختلفة من المدينة ما يعتبرها هو اهمال واجحاف في حق الحرفيين من جهة وتشويه للنمط التقليدي الذي تميزت به المدينة لمئات السنين، وغاب كما يسميه هو الطعم والذوق الخاص للمدينة . من جانب آخر اكتساح واحتكار السوق بالاواني الصينية (القصدير ، الألمنيوم، اينوكس والبلاستيك) جعل العائلات القسنطينية تركض وراء التجديد. حسب نفس المخبر هناك سبب ثالث وهو إرتفاع محسوس بمئات المرات في المادة الخام. هذه معظم الأسباب التي ساهمت في عزوف الحرفيين المهرة، ودخول أصحاب المال للاستثمار الذين يعتبرهم (إدريس) بدون ذوق ولا يفهمون في الفن النحاسي الأصيل. كل هذه العوامل كانت سببا في شلل ركود اقتصادي واضح للحرفة ، ولم تعد هذه الأخير مصدر دخل للمدينة.

أما عن الإنتاج فالحرفي الواحد ينتج في الشهر قطعة إلى 3قطع نحاسية كحد أقصى إذا كان منتجا او نقاشا أما إذا كان من ذوي الاختصاصات الأخرى كالتصليح، التبييض (التشبيب) والتلميع فقد يتجاوز ذلك خمس قطع. أما عن فرص تصدير المنتجات النحاسية فهي شبه منعدمة، بحيث نجد أن حرفيو النحاس بقسنطينة يقتصر انتاجهم على الطلب مباشر للقطعة، وقلما تجد قعتين أو ثلاث معروضة للبيع يشتريها في الغالب الزوار من ولايات أخرى، أو سياح أجانب. في حين أنه توجد دكاكين عامرة بالمنتجات النحاسية غرضها تجاري فقط.

وعادة تأتي الطلبات في نوعين: مباشرة و غير مباشرة ، بالنسبة للطلبات المباشرة ، يأتي المشتري لطلب المنتج مباشرة من منتج الأواني النحاسية ؛ بالنسبة للطلبات غير المباشرة، يستخدم الزبون تجار التجزئة لشراء منتج معين، هذا الاخير يقوم بتقديم طلب للحرفي لتصنيعه .

من حيث مساهمة الحرفة في سوق العمل والتوظيف تظهر نتائج الدراسة أن أغلب الحرفيين يعملون لحسابهم الخاص في ورشات صغيرة ولا يقبلون توظيف عمال، بحجة ضيق ورشة العمل، وكذا الخوف من انتقال المعرفة نحو المنافسين، بالتالي خسارة مصدر الرزق الوحيد. وفي سياق ذلك وحسب المبحوثين أن أغلبهم لا يريد توريث الحرفة لأبنائهم لأنهم يعتبرون أنها غير كافية لسد الاحتياجات الاقتصادية، كما أنها آيلة للزوال بحكم التطورات الحضارية الراهنة.

5. نقص المعرفة والفهم فيما يتعلق بقيم ومعاني حرفة النحاس

ان مجتمعنا المعاصر وخاصة جيل الشباب منه لا يستوعب قيم الثقافة المادية التقليدية المحلية (إدريس) ؛ علاوة على ذلك فإن تصور المخبرين والمجتمع وفهمهم وتقديرهم للممارسات الحرفية التقليدية والثقافة المادية تختلف باختلاف أدوارهم وخبراتهم وتعرضهم. وينظر معظم المخبرين إلى قيم صناعة الأواني النحاسية على أنها شيء حيوي بشكل عام. ومع ذلك، فإن معظمهم يميلون إلى ربط قيم الأدوات النحاسية بشيء ملموس وقابل للقياس مثل؛ القيمة الاقتصادية، الغرض التجاري، الأرباح والمعنى الخارجي للأشكال، الأنماط والزخارف استنادًا إلى المقابلات، فان أغلب حرفيي النحاس ليسوا على دراية بمختلف القيم والمعاني التي تمثل النمط التقليدي، نظرا لتركيزهم على كمية الانتاج والجانب الجمالي الخارجي للقطعة.

خاتمة:

تشير النتيجة النهائية للتحليل إلى أن أبرز المعوقات التي يواجهها منتجو الحرف اليدوية النحاسية -فضلاً عن القيود التي تمنع هذه الصناعة من المنافسة والتطور -هو نقص المعرفة وفهم المجتمع المعاصر للقيم الثقافية الضمنية ومعاني الحرف النحاسية هذا من جهة. ومن جهة أخرى بينت الدراسة أهمية ما حاول الحرفيون الأوائل نقله من قيم ومعاني فلسفية جوهرية للحرف عامة والنحاسية خاصة من خلال أنماط الزخارف، وممارسات صنع؛ في دعم وتوثيق التراث التقليدي والهوية المحلية وهذا ما يجعلها ذخرا مستداما لقطاع التنمية الاقتصادي إذا ما حسن استغلالها.

ولقد أبزت الدراسة أن الحرفيين يفتقرون إلى مستوى علمي ومعرفي معين يبحثون من خلاله عن طرق لمواكبة العصرنة والتكنولوجيا مع الحفاظ على اللمسة التقليدية العصرية. ومن ضمن هذا

البحث عن أسواق جديدة لعرض والتعريف بمنتجاتهم عبر مختلف وسائل التواصل الاجتماعي والتكنولوجي. مع وجود هيئات حكومية تحمي حقوق الانتاج والابتكار. ثانيا تنمية القيم التاريخية والثقافية للحرف اليدوية النحاسية والاعتزاز بها يساهم في رفع حس الانتماء بالتالي القدرة على الجذب التجاري . كما أن الاهتمام بالوضع الاقتصادي الاجتماعي للحرفيين (معاشات، تأمينات، سكن، مواد خام) له الأثر البالغ في استمرارية الحرفة على الصعيدين الوطني والدولي. مع وجود رقابات وقوانين ردعية للتعسفات والتجاوزات. وهذا لا يكون إلا باتباع استراتيجة شاملة على المستويين الحكومي والشخصي.

قائمة المصادر والمراجع

ابن خلدون ,ع .(2001) .المقدمة .Vol)مجلد .(1بيروت :دار الفكر للطباعة والنشر.

الأمانة العامة للحكومة الجزائرية. (14 جانفي, 1996). الأمر رقم 96-01. الجريدة الرسمية(3)

أميرة إمام طه متولي. (2000). صياغة الرمز فى التصميم كمدخل لتدريس الملصق الاعلانى. رسالة ماجستير. كلية التربية النوعية بالدقى، القاهرة.

فوزي مجمج، و عبد المجيد بوالصلب. (2020). الصناعة التقليدية للنحاس بمدينة قسنطينة. المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الانسان والتاريخ.

Abdalqadir Hameed, S. (2021, 12). The Effect of Human Resource Management Practice on Sharing Tacit. Indian Journal of Forensic Medicine & Toxicology, 15(4). Récupéré sur https://www.researchgate.net/publication/357032114

Blackmore, E., Underhill, R., McQuilkin, J., & Leach, R. (2013). Common Cause for Nature - A practical guide to values and frames in conservation. United Kingdom: Public Interest Research Centre. Récupéré sur https://publicinterest.org.uk/download/framing_nature/Common%20Cause%20for%20Nature%20-%20Practitioners%20Guide.pdf

(1998). Cultural Industries Growth Strategy (CIGS). Department of Arts, Culture, Science And Technology (DACST): The South African Craft Industry Report.

Elliot, E. A. (2016). Craft consumption and consumer transformation in a transmodern era. Journal of Business Research, 69(1). doi:https://doi.org/10.1016/j.jbusres.2015.07.016

Ferraro, E. W. (2011). Craft and sustainable development: reflections on Scottish craft and pathways to sustainability. Craft + Design Enquiry, 3(1-28). Récupéré sur www.craftaustralia.org.au/cde

Fillis, I. (2012). An aesthetic understanding of the craft sector. Creative Industries Journal, 5(1–2), 24. Récupéré sur https://doi.org/10.1386/cij.5.1-2.23

Frost, & Sullivan. (2005). Market Feasibility Study and Business Development Plan for the Handicrafts Sector.

Hosagrahar, J., Soule, J., Girard, L., & Potts. (2016). Cultural Heritage , the UN Sustainable Development Goals , and the New Urban Agenda. International Council on Monuments and Sites (ICOMOS, 1(18). Récupéré sur http://www.usicomos.org/wp-content/uploads/2016/05/Final-Concept-Note.pdf

Pöllänen, S. (2013). The meaning of craft: Craft makers' descriptions of craft as an occupation. Scandinavian Journal of Occupational Therapy, 20(3), 219. Récupéré sur https://doi.org/10.3109/11038128.2012.725182

Rees, H. (1997). Pattern of making: thinking and making in industrial design in the culture of craft. Manchester University Press.

Sood, S., & Tulchin, D. (2022, Mai 30). Quadruple Bottom Line. Récupéré sur Social Enterprise Associates: http://upspringassociates.com/wp-content/uploads/2014/09/TipSheet13QBL.pdf

UNESCO Institute for Statistics, a. (2016). The Globalisation of Cultural Trade: A Shift in Consumption. International flows of culturan goods and services 2004-2013. Récupéré sur https://doi.org/http://dx.doi.org/10.15220/978-92-9189-185-6-en

UNESCO institute Statistics. (2009, 9 23). créativité : artisanat et design. Récupéré sur http://
portal.unesco.org/culture/fr/ev.phpUrl_ID=35418&URL_DO=DO_TOPIC&URL_section=201.html

Walker, S. (2011). The Spirit of Design - object, environment and meaning. (1st, Éd.) Earthscan. Récupéré sur https://www.routledge.com/The-Spirit-of-Design-Objects-Environment-and-Meaning/Walker/p/book/9781849713641

Walker, S. (2012). The Object of Nightingales: Design Values for a Meaningful Material Culture. Design and Culture journal, 4(2). Récupéré sur https://doi.org/10.2752/175470812X13281948975459

Walker, S. (2013). Design and Spirituality: Material Culture for a Wisdom Economy. Design Issues, 29(3). Récupéré sur https://doi.org/10.1162/DESI

Walker, S. (2014). Designing Sustainability: Making radical changes in a material world (éd. 1st). Routhledge.